الصحيح من الفراسة

امارات الالم والخوف

للالم امارات كما للسرور بعضها ظاهر مشهور كالتنهُّد والبكاء والنحيب والتمطي والتثاؤب والارتعاد والاصفرار والاحمرار والحصَر (فقد النطق) وبعضها غير ظاهر او غير مشهور كالقيء والاسهال وانقطاع اللعاب وتصبُّب العرَق والتعالي في الكرم والتفاني في البغض وطلاقة اللسان وتقطُّع الكلام وما اشبه . وقلما تظهر امارة من هذه الامارات وحدها بل يظهر بعضها مع بعض حسب شدَّة الالم واختلاف انواعه وحالة المتألِّم . وهي اما امارات انفعال او امارات فالج او امارات شعور احدثهُ الألم او حدثَ عنهُ . والاولى اي امارات الانفعال اكثر من غيرها وهي تحدث عند كل الم طفيف او ابتداء بالالم فان الجاري العصبيَّة الداخلية الناتجة عمَّا يسبِّب الالم تجري على اعصاب كثيرة فتحرِّك العضلات المتصلة بها حركات مختلفة تظهر بانقباض الوجه وارتجاف الاعضاء وانتصاب الشعر والتنهُّد والتأوُّهُ والبكاء والتهديد والوعيد. ولهذه الحركات غرضان الاول تخليص المراكز العصبيَّة من التهيج العصبي الذي زاد عليها فاتعبها والثاني دفع ما كان سبباً للالم

والثانية اي امارات الفالج يراد بها امارات الدهشة التي تعتري الانسان من الالم الشديد المفاجئ حتى يغمَى عليهِ من شدة الالم وقد يفلَج او تزهق روحهُ منهُ لكنها لا تبلغ هذا الحد الاَّ نادراً والغالب ان الدهشة تقتصر على صفرة الوجه وجفاف اللعاب

والثالثة اي امارات الشعور الذي احدثهُ الالم او حدث الالم عنهُ كثيرة تختلف باختلاف دقة المشاعر ودرجات تأثُّرها فان السبب الواحد من اسباب الالم لا يؤثر في الناس كلهم على حدٍّ سوى ولكن اثرهُ يظهر على اسلوب واحد غالباً حتى لا يتعذَّر عليك ان تعرف ما اذا كان مصدر الم المتألم وجعاً في ضرسهِ او ضيقاً في حذائهِ او غيظاً من عقوق ابنهِ او من تجامل الناس عليهِ

ويظهر الألم غالباً بانقباض عضلات الوجه ثم عضلات العنق ثم عضلات الجزع ثم عضلات اليدين ثم عضلات الرجلين . ففي الوجه ينقبض الجفنان العلويان وتنخفض الشفة السفلى وينقطب الجبين وتنخفض زاويتا الفم او ينطبق انطباقاً شديداً وتنقبض راحتا اليد . الى هنا تكون الامارات امارات الترفُّع والتحمُّل والجلَد ثم اذا زاد الألم عن الاحتمال زالت هذه وعقبتها امارات الخوف والاضطراب فينخفض الفك الاسفل وترتعد عضلات اليدين والرجلين

ثم عضلات الوجه والعنق والصدر والبطن وتتشنج حتى اذا زاد الألم نفدت القوة العصبية المحركة للعضلات فانبسطت وانفلجت وتعذّر على المرء طبق فيهِ او تحريك قدميهِ او البقاء منتصباً

وهذه الحركات في العضلات تؤثر في التنفس تاثيرًا شديدًا فيضطر المرء الى التنهّد الشديد المتقطع ويظهر فعلها على اشدهِ بالبكاء وتشترك العضلات التي تفرز الدمع مع العضلات التي تسبب البكاء فيزيد الدمع على ما ينفذ منهُ الموقين الى الانف فينصب على الوجنتين وقد تحمرُّ الوجنتان ولا سيما في الصغار ولكن الغالب ان تصفرّا من الخوف الشديد ولذلك يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل

وامارات الألم الناتج عن الحزن تختلف غالبًا في الرجال عمَّا هي في النساء فالمرأة تدهش وتبكي والرجل يغضب ويخاصم . المرأة تنكسر وتلجأ الى الدمع والرجل يطبق كفيهِ ويتهدّد بهما او يرفعهما الى السماء كانهُ يقصد مخاصمة الله . المرأة تصلي وتتضرّع والرجل يجذف ويتهدّد

ويكثر هطول الدمع في الصغار ثم يقلُّ رويدًا رويدًا بتقدّمهم في السن حتى لقد يبكي الشاب ولا تدمع عيناهُ ويقل البكاء في الشيبة والكهولة ثم يعود في الشيخوخة والغالب ان دموع الكهل تفيض من عينيهِ من غير ان يبكي كأنهُ يلجم نفسهُ عن البكاء عنوةً

والالم العقلي يؤثر في الوجه تاثير الالم البدني وتظهر اماراتهُ فيهِ كما تظهر امارات الالم البدني فاذا رأى المرء منظرًا قبيحًا او ثورًا باهرًا او الوانًا غير منتسقة اغمض عينيهِ وانقبضت العضلات التي حولها كان رؤية ما رأى تؤلمهُ فيغمض عينيهِ لكي لا يراهُ ويحدث مثل ذلك اذا سمع قصةً تدلُّ على جهل فاضح فانهُ اما ان يغمض عينيهِ ويظهر الاشمئزاز او يغرب في الضحك . فالالم النظري كالالم العقلي يظهر في العين لانها مظهر الصور العقلية

وكما تتألم العين من رؤية المناظر القبيحة تتألم الاذن من سماع الاصوات الحادّة كصرير الابواب وصريف الانياب . وامارات هذا الالم في الجسم كلهِ مثل امارات الالم من الشعور الداخلي لان اذن الانسان لا تتحرّك حتى تدلَّ على الالم . ويظهر الم المشاعر على اشده اذا تالمَّ الانف من رائحة كريهة فيُسَدُّ منخراهُ اولاً منعًا لدخول الرائحة وترتفع الشفة السفلى وكأنَّ عضلات الوجه كلها تحاول دفع الرائحة القبيحة من دخول الانف كما نفعل اذا احتقرنا شيئًا او انفنا منهُ . وقد اشتقَّت الأنفة من الانف في العربية والشمم من الشم لما يظهر من العلاقة بين هاتين الصفتين وبين الانف والشم . كذلك اذا اهنتَ رجلاً او نسبتَ اليهِ امرًا يعدُّهُ دون قدره اظهر الاشمئزاز بحركة معلومة في فيهِ وشفتيهِ كما يفعل لو ذاق طعامًا مرًّا او كريه الطعم. وكلمة اشمئزاز في العربية تطلق على كراهة الكلام المكروه والطعم المكروه والنفور منهما كليهما

وينعل الخوف بالاعصاب فعل الالم تمامًا لان الخائف يخشى على حياته فيتألم ولذلك يصفرُّ ويبرد جلدهُ وينعقد لسانهُ ويخنق فؤادهُ وينتصب شعرهُ واذا زاد خوفهُ فصار رعبًا اتسع منخراهُ وجحظت عيناهُ محدقتين بما سبَّب الخوف وقد تلتفتان من جهة الى اخرى على غير هدًى وانقبضت عضلات وجهه وارتعد بدنهُ كلهُ ثم تفلج عضلاتهُ فيقف كالصنم ولا تعود عواصر امعائهِ قادرة على ضبط ما فيها

وغنيٌّ عن البيان انهُ اذا ظهرت امارات الالم في الوجه وتكرَّرت يومًا بعد يوم وسنة بعد اخرى سواء كان الالم عقليًا او جسديًا بتيت آثارها فيهِ غضونًا وارتفاعات وكذلك تبقى الآثار في الجسم كلهِ فيصفر ويشحب فيمتاز وجه الحزين والمتألِّم والمحتقر لغيرهِ عن وجه المسرور المرتضي الذي لا يزدري الناس لكن هذه الآثار قد لا تبقى في الجسم وقد تعرض له لاسباب اخرى فلا تكون دلالتها صحيحة دائمًا

ائتلاف الشعوب

تحدث للامم بواعث فتأتلف وبدعوها تباين المصالح والمقاصد فتختلف كما يتنافر شقيقان صنوان ويتضافر عدوّان لدودان "ويستصحب الانسان من لا يلائمهُ". ولو ساد السلام قرنًا من الدهر بين البشر لضاقت عليهم الارض بما رحبت "ولولا الوئام لهلك الأنام"

ولقد عجب القوم لما جرى من الاتحاد الثنائي في الشهر الماضي بين دولة انكلترا المسيحية ودولة اليابان الوثنية فرأيت ان اعرّب بهذه المناسبة ما نشرهُ احد مشاهير العمرانيين بداعي ما هو جارٍ بين الروس والفرنسيس من حسن الصلات من رسالة نافعة في مجلة "العلم الاجتماعي" الباريسية تفلسف في تقارب الشعوب وتباعدهم فلسفة استند فيها الى التجارب والحوادث فحصر اسبابها في ثلاثة قال ما ترجمتهُ بتصرف :

﴿ الاول — الحاجة الى مقاومة عدوّ عام ﴾ قلما يثور خصام او صدام بين ثلاثة اشخاص اذ لا يكون الخصوم في كل المعارك الاَّ فريقين . فقد يُبغض زيد عمرًا وبكرًا ويبغض عمرو زيدًا وبكرًا ويبغض بكر عمرًا وزيدًا ولكن اذا حدث حادث بين هؤلاء الثلاثة يتألب اثنان منهما على الآخر . والاتحاد في العادة يكون بين ضعيفين على قوي . وقد يتفق القويان ليكونا يدًا واحدة على الضعيف ويا من غائلة التعادي بينهما من اجل تقسيم اسلابهِ والاستئثار بحقوقهِ على نحو ما جرى عام ١٨٦٤ عقيب حرب إعلنتها بروسيا والنمسا على الدانمرك قُبَيل معركة سادوفا في بوهيميا